مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد العاشر - السنة الخامسة. رجب ١٤٤٢هـ / فبراير ٢٠٢١م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

موضوعات العدد:

- تدبر القرآن الكريم وآثاره
  محمد الأمين أمير — د. جمال أحمد بشير بادي
- مظاهر نعمة الطريق في ضوء سورة النحل
  د. محمود بن عبد الجليل روزن
- الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة «دراسة تحليلية»
  د. محمد وسيم خان
- آيات الأخذ بالبأساء والضراء في سورة الأنعام (٤٢-٤٥) «تفسير واهتداء»
  د. مسعد بن مساعد الحسيني
- الإشارات لما في مقدمة الشاطبية من الآداب والتوجيهات
  د. طارق بن سعيد أبو ربعه السهلي الحربي
- تقرير رسالة علمية بعنوان:
  تدبر القرآن الكريم عند الإمام ابن القيم رحمه الله «دراسة تأصيلية»
  للباحث: عبد العزيز بن حسين الوثلان
- تقرير عن مجلة تدبر خمس سنوات (١٤٣٨-١٤٤٢) / (٢٠١٦-٢٠٢١)
- تقرير عن ملتقى التفسير الأول بدولة الكويت «مشاني»
  التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مجلة تدبر
عفت

الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة

دراسة تحليلية

د. محمد وسيم خان

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون بجامعة حائل
المملكة العربية السعودية

قدم للنشر في: ١٤٤١/١٠/٢٥
قبل للنشر في: ١٤٤١/١١/٢٦
نشر في: ١٤٤٢/٧/١

◆ حصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، بأطروحته: مواهب الأديب في شرح مغني اللبيب للأزنيقي (ت: ١٠١٨هـ) – دراسة وتحقيق.

◆ حصل على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، بأطروحته: كتاب المغازي في صحيح البخاري – دراسة بلاغية تحليلية.

◆ **بعض النتاج العلمي:**

– البلاغة العربية في الدِّراسات الأردية.

– الدِّلالة الصوتية والصرفية في حديث أم زرع في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها – دراسة تطبيقية.

– دلالات الألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة – دراسة بيانية تحليلية.

◆ البريد الإليكتروني: waseemalmohammadi@gmail.com

مجلة تدبر

مُلخَّص البحث

يتلخص هذا البحث في النقاط التالية:

- اشتمل هذا البحث علىٰ مقدمة أشاد فيها الباحث بأهمية الموضوع، وبَيَّن أسباب اختياره، وتَحدَّث عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع، وهدف البحث، وخطته، والمنهج المتبع فيه، وخَتَمه بكلمة الشكر.
- ثم قَسَّم الباحث بحثه إلىٰ ثمانية مباحث؛ لدراسة الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، دراسة تحليلية.
- وقد رَكَّز الباحث علىٰ شرح وتحليل الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، والتي تتلخص في تنوع القراءات، والالتفات، والجَمْع، والحذف، والتقديم والتأخير، والقَصْر، والتَّكرار، والاستعارة. وذلك في ضوء أقوال المفسرين والمعربين، وكلام أهل البلاغة والبيان، وغيرهم من المعنيين باللغة العربية.

وقد مضىٰ الباحث ملتزمًا في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، محاولًا من خلاله الوصول إلىٰ الهدف الذي يسعىٰ إلىٰ تحقيقه، وهو دراسة الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة دراسة تحليلية، والكشف عن جمالياتها، والإبانة عن دورها في تأدية المعنىٰ المقصود.

- انتهىٰ الباحث من خلال البحث والدراسة للموضوع إلىٰ نتائج رصدها في خاتمة البحث.

- في نهاية البحث ذَيَّل الباحث بحثه بفهرسين مهمين: فهرس قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات؛ ليَسهل الاستفادة منه.

كلمات مفتاحية: بلاغة، دلالات، قراءات، تقديم، استعارة.

The Rhetorical Aspects in the Surah Al Fatiha (An Analytical Study)

Prepared by:
Dr. Mohammad Waseem Khan(1)
Associate Professor in the Arabic Language Department,
the College of Arts, Hail University
Kingdom of Saudi Arabia
E-mail: waseemalmohammadi@gmail.com

Abstract

This research can be summarized into the following points:

- The research includes an introduction in which he stresses the importance of the topic and accounts for choosing it, referring to relevant literature, the objectives, plan and approach of the research and concluding it with a special word of thanks.
- The researcher divides his research into eight sections to do an analytical study on the rhetorical aspects in the Surah Al Fatiha.
- The researcher focuses on explaining and analyzing the rhetorical aspects in the Surah Al Fatiha, which can be summarized as follows: the diverse readings, reference shifting (Iltifât), pluraliza-

(1) He obtained a Master›s Degree from the College of Arabic Language at the Islamic University in Madinah, with his thesis entitled: The Talents of the Literature in Explaining Mughni Al-Labeeb of Al-Azniki (Died: 1018 AH) – (Study and Investigation). He obtained a PhD degree from the College of Arabic Language at the Islamic University in Madinah, with his thesis entitled: "The Maghazi (Military Expeditions) Book in Sahih Al-Bukhari (An Analytical Rhetorical Study). E-mail: waseemalmohammadi@gmail.com

tion , apocopation, anastrophe, al qasr (restriction) repetition, and metaphor. This is informed by the statements of the Muslim exegetes, Arabists, rhetoric scholars, and others concerned with the Arabic language.

The researcher uses the descriptive analytical approach, through which he tries to reach the goal that he seeks to achieve, that is to say to conduct an analytical study on the rhetorical aspects in the Surah Al Fatiha and demonstrate its figurative features and their role in conveying the intended meaning.

- The researcher reaches certain findings which he mentions at the conclusion of the paper.
- At the end of the paper, the researcher attachés to it two important indexes: a list of sources and references, and an index of subjects, so that they will be easy to learn.

Keywords: Rhetoric, Denotations, Readings, Anastrophe, Metaphor

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الكريم، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد، فهذه دراسة تحليلية للجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، تحاول كشف بعض ما فيها من أسرار البيان، وجمال الأسلوب، وبلاغة التعبير، مستعينة بالله ثم بالنظر في كتب علماء التفسير واللغة، ومَن عُنوا ببيان جماليات التعبير القرآني.

وقد تناولتُ فيه الجوانب البلاغية التي برزت في أساليب سورة الفاتحة، فحاولتُ الكشف عن دورها في الإبانة عن المقصود، وأثرها في تحقيق المراد من الكلام الرباني. وقد قمتُ فيه بالتحليل والشرح والبيان، والكشف عما في هذه السورة العظيمة من بلاغة وبيان.

وسورة الفاتحة هي فاتحة الكتاب «وأُم القرآن، والشفاء التام، والدواء النافع، والرقية التامة، ومفتاح الغنىٰ والفلاح، وحافظة القوة، ودافعة الهم والغم، والخوف والحزن لمَن عَرَف مقدارها، وأعطاها حقها، وأَحْسَن تنزيلها علىٰ دائه، وعَرَف وجه الاستشفاء والتداوي بها، والسر الذي لأجله كانت كذلك.

ومَن ساعده التوفيق، وأُعِينَ بنور البصيرة حتىٰ وقف علىٰ أسرار هذه السورة، وما اشتملت عليه من التوحيد، ومعرفة الذات والصفات والأفعال، وإثبات الشرع والقَدَر والمعاد، وتجريد الربوبية والألوهية، والتوكل والتفويض إلىٰ مَن له الأمر

كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرْجَع الأمر كله... أغنته عن كثير من الأدوية والرُّقى»(١).

وقد رجعتُ في دراسة هذه الجوانب إلىٰ كتب التفسير والإعراب، والمعاجم والبلاغة، والمؤلفات الأخرىٰ التي عُنِيَتْ بدراسة هذه السورة دراسة بيانية، تَكشف عن جمالياتها.

وحاولتُ أن أقوم بدراسة الجوانب البلاغية في السبع المثاني دراسة بلاغية تحليلية، كاشفًا عما فيها من جمال الأسلوب وروعة البيان، ووفقتُ لديها حَسَب ما ساعدني فهمي في ضوء أقوال العلماء من المفسرين واللُّغويين. وهو في الحقيقة جهد متواضع شاركتُ به في خدمة هذا الكتاب العظيم، وأسأل الله القَبول.

أهمية الموضوع: يكفي لأهمية هذا الموضوع أنه متعلق بالقرآن، بل بأُم القرآن، يَكشف عن بعض ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من المعاني الجليلة والمطالب العالية، ويُنقِّب عن بعض ما احتوت عليه من ألوان البلاغة والبيان.

وتتلخص أهميته في النقاط التالية:

١- أن الموضوع متصل بالقرآن الكريم اتصالًا مباشرًا، يَبحث فيه، ويَكشف عن بعض جمالياته.

٢- أنه متعلق بسورة عظيمة من سور القرآن، وهي سورة الفاتحة، التي هي فاتحة الكتاب وأُم القرآن.

٣- أنه يَبحث في جانب يتصل بإعجاز القرآن الكريم.

٤- هذه دراسة تحليلية للجوانب البلاغية في السَّبْع المثاني، والدراسات

(١) «زاد المعاد»، لابن القيم (٤/ ٣٤٧).

التحليلية لسور القرآن توضحها للقارئ أحسن توضيح، وتُقرِّبه إلىٰ ما فيه من المعاني والبيان المعجز أحسن تقريب، كما تنمي الذوق وتربيه أحسن تربية.

أسباب اختيار الموضوع:

هذه الأسباب السابقة الكاشفة عن أهمية هذا الموضوع، ورغبتي في دراسة آيات القرآن دراسة تحليلية تنمي الذوق، وتساعدني علىٰ الوقوف عند دقائق القرآن اللُّغوية، وجماليات القرآن البيانية- دفعتني إلىٰ اختيار هذا الموضوع للدرس والبحث.

أهم الدراسات السابقة:

توجد دراسات عديدة حول سورة الفاتحة، لها صلة بالموضوع، ومن أهمها:

١- «أضواء علىٰ الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة»، للدكتور صالح بن محمد آل أبو بكر الزَّهراني: لقد سَلَّط الدكتور الصالح في هذا البحث النفيس الأضواء علىٰ الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة في مبحثين:

فأما المبحث الأول: (من الدلائل البلاغية العامة لإعجاز السورة) فقد تناول فيه دلائل الإعجاز للسورة، كدلالة التسمية بأُم القرآن، ودلالة التسمية بسورة الكنز، ودلالة التسمية بسورة الشفاء والشافية...، وغيرها.

وأما المبحث الثاني: (من بلاغة الكلمات والتراكيب في السورة) فقد تناول فيه السورة علىٰ طريقة التفسير البياني، حيث أَخَذ آية آية، وقام بشرح وبيان ما فيها من بلاغة وإعجاز. ورَكَّز هنا كثيرًا علىٰ دلالات الألفاظ والتراكيب وبلاغة الأسلوب، حتىٰ انتهىٰ من السورة.

وجملة ما تناول الباحث في هذا البحث من المظاهر البلاغية البارزة- غير

الدلائل العامة علىٰ إعجاز السورة، ودلالات الألفاظ والتراكيب-: حُسن الافتتاح، والإيجاز، والالتفات، والقَصْر، والجَمْع، والتجانس، والاستعارة، والفواصل المؤثرة، والتأكيد، والإطناب.

ويتشابه بحثي مع هذا البحث في أربعة مظاهر بلاغية، تناولها الدكتور في المبحث الثاني من بحثه، وهي: (الالتفات، والقَصْر، والجَمْع، والاستعارة).

والناظر في هذه المظاهر الأربعة في البحثين- يجد أن بحثي يختلف عن بحثه من ناحية الشرح والتحليل اختلافًا واضحًا، كما يختلف عنه في منهج الدراسة.

عِلمًا بأن هذه المظاهر الأربعة تناولها الدكتور في صفحتين، بل أشار إلىٰ بعضها في سطرين فقط. بينما تناولتُها في بحثي في عَشْر صفحات في مباحث مستقلة.

٢- «البلاغة في سورة الفاتحة، دراسة تحليلية بلاغية»، للباحث محمد سبحان يحيىٰ: هذا البحث أَعَدَّه الباحث محمد سبحان يحيىٰ لاستكمال الشروط المقررة للحصول علىٰ درجة علمية (درجة سَرجانا). وهو بَحْث مختصر، يقع في خمسين صفحة علىٰ طريقة التفسير البياني.

وجميع ما تناوله الباحث -بعد ذكر عناصر البلاغة وأقسامها وعلومها- من مسائل بلاغية في عرض البيانات وتحليلها، كالإنشاء والخبر، والتقييد، والفصل والوصل- غير داخل في بحثي.

٣- «تفسير سورة الفاتحة، تفسيرها- فضائلها- مقاصدها- موضوعاتها- فوائدها- بلاغة آياتها- مسائلها الفقهية»، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدُّرَر السَّنية: هذا التفسير الموجز يتناول سورة الفاتحة من نواحٍ عدة كما هو ظاهر من اسمه، ومنها بلاغة آياتها التي تناولها في سبع صفحات فقط بإيجاز شديد.

وقد تناول فيها: حُسْن الافتتاح، واسمية الجملة، والتخصيص بالإضافة، والتقديم والتأخير، والالتفات، والتَّكرار، والجَمْع، وفِعل الأمر، والتعدية، والتصريح بعد الإبهام، والتوكيد، وتَناسُب الفواصل.

ويتشابه بحثي مع هذا البحث في أربعة مظاهر بلاغية: (التقديم والتأخير، والالتفات، والتَّكرار، والجَمْع).

إلا أن الناظر في هذه المسائل البلاغية التي تتشابه في الدراستين في الظاهر- يجد أنهما تختلفان في منهج الدراسة، وأسلوب التناول، والمضمون والمغزىٰ؛ إذ هذه الدراسة تتناولها باختصار شديد في نقاط محددة في أقل من ثلاث صفحات، ودراستي تتناولها في ثلاث عَشْرة صفحة. كما أن هذه الدراسة تتناول هذه المسائل في جوانب تختلف عن بحثي في أغلبها أسلوبًا ومضمونًا، وشرحًا وتحليلًا وتفصيلًا.

٤- «دلالات الألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة، دراسة بيانية تحليلية»، للدكتور محمد وسيم خان: وقد اقتَصر فيها الدكتور علىٰ دلالات الألفاظ والتراكيب، وبلاغة الأسلوب، وما في السورة من بيان وبلاغة وإعجاز في هذا الجانب فقط، دون الجوانب البيانية والمظاهر البلاغية الأخرىٰ.

٥- «مظاهر البلاغة في سورة الفاتحة من خلال كتاب «نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر» لبرهان الدين البَقَاعي»، للباحثة هاجر الفتوح: وهو بحث موجز أشبه بمقال، يقع أصله في ست صفحات فقط. وقد تَناولتْ فيه الباحثة بعض المظاهر البلاغية في سورة الفاتحة من خلال كتاب «نَظْم الدُّرَر» للبَقَاعي علىٰ طريق التفسير البياني، فذَكرتْ أولًا دلالات التسمية للسورة في صفحتين، ثم تَناولتْ أوجه الإعجاز البلاغي في السورة في أربع صفحات، معتمدة علىٰ البَقَاعي في «نَظْم الدُّرَر».

وهو يختلف عن بحثي في أسلوبه ومضمونه اختلافًا كبيرًا، ولا يتشابهان إلا فيما سردتُ من خلال الشرح والتفسير البياني سردًا، عن تقديم (إياك) وتكراره، وتقديم العبادة علىٰ الاستعانة، ونُون الجَمْع في (نعبد) و(نستعين)، والاستعارة في (الصراط) باختصار شديد، لا يتجاوز كله عَشَرة أسطر. هذا مع الاختلاف في أسلوب التناول والمضمون ذاته.

٦- «من غريب بلاغة القرآن الكريم في سورتي الفاتحة والبقرة»، للدكتور عادل أحمد صابر الرُّويني: هذا الكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة تتعلق بسورتي الفاتحة والبقرة، وهي بلاغية وغير بلاغية. وهذا يعني أن العنوان لم يكن دقيقا من قبل المؤلف. ثم البلاغية منها تَنْصَبّ علىٰ جانب الدلالة والبيان كما هو شأن التفاسير البيانية، وما جاء فيها من مسائل بلاغية معروفة، فضِمن الأسئلة والأجوبة عَرَضًا.

أما بحثي، فهو دراسة منهجية لجوانب بلاغية بارزة في سورة الفاتحة، فهما مختلفان في الأسلوب والمضمون والمنهج اختلافًا كبيرًا.

◆ هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ دراسة الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة دراسة تحليلية، والكشف عن جمالياتها، والإبانة عن دورها في تأدية المعنىٰ المقصود.

◆ خطة البحث:

اشتملت خطة البحث علىٰ مقدمة، وثمانية مباحث، وخاتمة، وفهرس.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهم الدراسات السابقة، وهدف البحث، وخطة البحث، ومنهجه، وكلمة الشكر.

المبحث الأول: بلاغة القراءات.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- القراءات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ودلالاتها البلاغية.

المطلب الثاني- القراءات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، ودلالاتها البلاغية.

المبحث الثاني: بلاغة الالتفات.

المبحث الثالث: بلاغة الجَمْع.

المبحث الرابع: بلاغة الحذف.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- حَذْف العامل في قوله تعالىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

المطلب الثاني- الحذف في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

المبحث الخامس: بلاغة التقديم والتأخير.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول- تقديم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ علىٰ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

المطلب الثاني- تأخير ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عن ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

المطلب الثالث- تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾:

المطلب الرابع- تقديم (العبادة) علىٰ (الاستعانة) في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

المطلب الخامس- تقديم ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ على ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

المبحث السادس: بلاغة القَصْر.

المبحث السابع: بلاغة التَّكرار.

المبحث الثامن: بلاغة الاستعارة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي تَوصَّل إليها الباحث من خلال البحث والدراسة.

الفهرس: ويشمل قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث: اتبعتُ في دراسة هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بإبراز الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، والكشف عنها بعد التأمل فيها، مع شرحها وتوضيحها، وبيان ما لها من أثر واضح في أداء المقصود الرباني، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع من كتب التفاسير واللغة، والبلاغة والبيان.

والتزمتُ في أثناء تطبيقه بمراعاة ضوابط البحث العلمي، كما يلي:

١- خَرَّجْتُ الآيات القرآنية بذكر السورة والآية.

٢- خَرَّجْتُ القراءات القرآنية من مصادرها.

٣- خَرَّجْتُ الأحاديث النبوية من مصادرها، مع بيان الصحة والضعف.

٤- وَثَّقْتُ المسائل اللُّغوية والبيانية والبلاغية من مصادرها.

٥- اعتمدتُ في الشرح والتحليل على مصادر التفسير واللغة والبلاغة، ومراجعها.

٦-ضَبَطْتُ ما يحتاج إلىٰ ضبط.

٧-راعيتُ القواعد الإملائية الحديثة في كتابة البحث.

٨-وَضَعْتُ علامات الترقيم في مكانها المناسب.

كلمة الشكر: أشكر الله ﷻ أولًا وآخرًا علىٰ ما وفقني للقيام بهذا العمل المبارك، المتعلق بكتابه العزيز.

كما أقدم جزيل الشكر ووافر الامتنان لكل مَن له يد بيضاء كريمة في إخراج هذا العمل في هذه الصورة، فجزاهم الله أيضًا خير ما يجازي به عباده الصالحين.

وفي الختام، أدعو الله أن يرزقنا الفَهْم والبصيرة، ويهدينا إلىٰ الصراط المستقيم، ويَجعل القرآن ربيع قلوبنا، ويثبتنا علىٰ تلاوته، والتأمل فيه، ويلهمنا رشدنا، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه.

كما أدعو الله أن يَجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ويرزقه القَبول، ويوفقني في الدنيا والآخرة، إنه ولي التوفيق.

المبحث الأول:

بلاغة القراءات

القراءات القرآنية لا تقتصر على كونها رحمة من الله بعباده، تُسَهِّل الأداء والقراءة والنقل، وتُعِين على الحفظ والفَهْم؛ بل تتعدى إلى فوائد أخرى تتعدد، ومنها فوائد بلاغية تشتمل عليها، ودلالات بيانية تتضمنها هذه القراءات، فتُبْرِز إعجاز القرآن الكريم، ويعلو بها كعبه لِما فيها من إيجاز ومجانبة الطول.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ودلالاتها البلاغية:

١- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ برفع الدال، وهي قراءة متواترة(١).

وعلى هذه القراءة تكون الجملة خبرية، تدل على ثبوت هذه الصفة ودوامها؛ لأن الجملة الخبرية تدل على الثبوت والدوام، كما هو مُقَرَّر عند البلاغيين.

٢- (الحمدَ لله) بفتح الدال، وهي قراءة شاذة(٢).

---

(١) وهي قراءة الجمهور، وقد أَجْمَع عليها السبعة، وتتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة عليها.
انظر: «معاني القرآن»، للفَرَّاء (١/ ٣)، و«جامع البيان»، للطبري (١/ ١٣٩)، و«معاني القرآن وإعرابه»، للزَّجَّاج (١/ ٥١)، و«معاني القراءات»، للأزهري (١/ ١٠٨)، و«البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣١).

(٢) وهي قراءة هارون العَتَكي، ورؤبة بن العَجَّاج، وسُفيان بن عُيينة، ولغة قيس، والحارث بن أسامة.
انظر: «إعراب القرآن»، للنَّحَّاس (١/ ١٧)، و«إعراب القراءات الشواذ»، للعُكْبَري (ص٨٧)، و«البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣٢).

وعلىٰ هذه القراءة يكون التقدير: (أحمد الحمدَ لله) فتكون الجملة فعلية تدل علىٰ التجدد والحدوث؛ لأن الجملة الفعلية تدل علىٰ التجدد والحدوث، كما هو مُقرَّر عند البلاغيين.

٣- (الحمدِ لله) بإتباع الدال لكسرة اللام التي بعدها؛ لِثِقل الضمة التي بعدها كسرة، وهي أيضًا قراءة شاذة(١).

والجملة الاسمية هنا أَوْلَىٰ من الفعلية؛ لأن الفعلية تدل علىٰ التجدد والحدوث، والاسمية تدل علىٰ الدوام والثبوت، وهي أقوىٰ وأثبت للمعنىٰ، وأدل علىٰ ثبات الحمد واستمراره(٢).

وقد يقال- والله تعالىٰ أعلم-: إن المعنيين مرادان؛ فإن المحامد كلها ثابتة لله ودائمة له، وهي متجددة ومستمرة إلىٰ يوم القيامة إن شاء الله تعالىٰ.

إلا أن الزَّجَّاج ﷺ لَمَّا رأىٰ في قراءة الرفع من المعاني ما لا يوجد في النصب، قال بعدما ذَكَر بعض ميزات قراءة الرفع المتواترة: «وقد رُوي عن قوم من العرب (الحمدَ لله) و(الحمدِ لله)، وهذه لغة مَن لا يُلتفَت إليه، ولا يُتشاغَل بالرواية عنه»(٣).

وقال الطبري: «ولذلك من المعنىٰ تتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة علىٰ رفع

---

(١) وهي قراءة لإبراهيم بن أبي عبلة، كما رُويت أيضًا عن زيد بن علي، والحسن البصري. كما أنها لغة تميم، وبعض بني ربيعة وغَطَفان.

انظر: «إعراب القرآن»، للنَّحَّاس (١/ ١٨)، و«المحتسَب»، لابن جني (١/ ٣٧)، و«إعراب القراءات الشواذ»، للعُكْبَري (ص٨٧)، و«البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣١)، و«القراءات الشاذة»، لعبد الفتاح القاضي (ص٢٤).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٥٨).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه»، للزَّجَّاج (١/ ٥١).

الحمد من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ دون نصبها، الذي يؤدي إلىٰ الدلالة علىٰ أن معنىٰ تاليه كذلك: أحمد الله حمدًا. ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب، لكان عندي محيلًا معناه، ومستحقًّا العقوبة علىٰ قراءته إياه كذلك إذا تعمد قراءته كذلك، وهو عالم بخطئه وفساد تأويله»(١).

وقال أبو حيان: «وقراءة الرفع أمكن في المعنىٰ؛ ولهذا أَجْمَع عليه السبعة؛ لأنها تدل علىٰ ثبوت الحمد واستقراره لله تعالىٰ، فيكون قد أخبر بأن الحمد مستقر لله تعالىٰ... ومَن نَصَب فلا بد من عامل، تقديره: (أحمد الله) أو (حَمِدْتُ الله) فيتخصص الحمد بتخصيص فاعله، وأَشْعَر بالتجدد والحدوث»(٢).

وقد يقول قائل: (الحمدَ لله) أولىٰ من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بتقدير: احمدوا الحمدَ لله؛ لأن فيه أمرًا ملزمًا.

فيقال: إن قراءة الرفع تكون هنا أيضًا أَوْلَىٰ من النصب؛ وذلك لأن الأمر بالشيء لا يَعني أن المأمور عنه بالأمر مستحق للفعل، فقولك: (امدح زيدًا) لا يعني أن زيدًا مستحق للمدح، بل قد يكون المأمور بنفسه غير مقتنع بما أُمِر به. وهذا أمر حاصل، بخلاف الرفع فإنه يفيد ثبوت الشيء واستقراره علىٰ جهة الاستحقاق. وحتىٰ لو أفاد الأمر أفاد علىٰ جهة الثبوت والدوام، نحو: (صَبْر جميل)، أي: اصبر.

فكان ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بالرفع أَوْلَىٰ من (الحمدَ لله) بالنصب في الإخبار والأمر.

كذلك، فإن ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أَوْلَىٰ من (أحمدُ الله) و(نحمدُ الله) و(حمدًا لله) علىٰ تقدير: (أحمد أو نحمد حمدًا لله) أيضًا؛ وذلك لأنها جمل فعلية مرتبطة بقائل معين أو بقائلين معينين، وبزمن معين، بخلاف ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ فإنه غير مرتبط بذلك.

(١) «جامع البيان»، للطبري (١/ ١٣٩).

(٢) «البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣١).

فالله محمود قبل حمد الحامدين، سواء حَمِدوه أو لم يحمدوه، وهو محمود من الأزل إلىٰ الأبد، غير مرتبط حمده بزمن معين(١).

كما أن ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بالألف واللام منبئ عن أن المعنىٰ: جميع المحامد لله، ولو أُسقِطتا لما دل إلا علىٰ أن حمد قائل ذلك لله(٢).

هذا علاوة علىٰ ما تدل عليه الجملة الاسمية من الثبوت والدوام، والفعلية علىٰ الحدوث والتجدد كما سبق.

كذلك في ذكر الحمد مع لفظ الجلالة دلالة أخرىٰ، لم توجد لو جاء بمتعلق آخَر، فلو قال: (الحمد للخالق)، أو (الحمد للقادر) لتَوهَّم المُخاطَب أن الحمد إنما استحقه الله ﷻ لأجل هذه الصفة؛ لأن اللام للاستحقاق.

فإذا قيل: (الحمد لله) أفاد استحقاق الذات له. وإذا قيل: (الحمد للخالق) أفاد استحقاق الذات الموصوفة بتلك الصفة له. ومعنىٰ الاستحقاق الذاتي: ما لا يلاحظ معه خصوصية صفة(٣).

المطلب الثاني- القراءات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، ودلالاتها البلاغية:

قُرئ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿مَلِك يوم الدين﴾(٤)، والمالك مشتق من (المِلْك)،

---

(١) انظر: «التفسير الكبير»، للرازي (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: «جامع البيان»، للطبري (١/ ١٣٨).

(٣) انظر: «رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٠٣، ١٠٤).

(٤) قرأ عاصم والكِسائي: (مالك يوم الدين) بإثبات الألف. وقرأ الباقون من السبعة: (مَلِك يوم الدين) بإسقاط الألف.

انظر: «السبعة في القراءات»، لابن مجاهد (ص ١٠٤)، و«الحجة في القراءات السبع»، لابن خَالَوَيْه، (ص ٦٢)، و«الحجة للقراء السبعة»، لأبي علي الفارسي (١/ ٧، ٨).

والـمَلِك مشتق من (الـمُلْك).

قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح، يدل علىٰ قوة في الشيء وصحة. يقال: أَمْلَك عجينَه: قَوَّىٰ عجينَه، ومَلّكتُ الشيءَ قَوَّيته... والأصل هذا. ثم قيل: مَلَك الإنسان الشيء يَملِكه مِلْكًا، والاسم المِلْك؛ لأن يده فيه قوية صحيحة»(١).

ومنه (المالك) و(المَلِك) لأن (المالك) له قوة في مملوكه، و(المَلِك) له قوة في مملكته.

و(المالك) و(المَلِك) يجتمعان في أمور، ويفترقان في أمور، والمالك أعم من المَلِك في المفهوم العام، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فجعَلَ الـمُلْك مِلْكًا للمَالِك.

والله ﷻ مَلِك ومَالِك متصرف قويّ:

فهو مَلِك، بل مَلِكُ الملوك، كل ما في الأرض والسموات وما بينهما تحت أمره ونهيه، له هيبة وجلال، وجبروت وكبرياء، بيده ملكوت كل شيء، وهو علىٰ كل شيء قدير.

كما أنه مالك متصرف يتصرف فيمن يملكهم كما يشاء، وهو قاهر عليهم، لا يمكن لهم أن يَخرجوا من سلطته، ومن واجباتهم السمع له والطاعة والوقوف عند حده. وبيده رِزقهم وكِسوتهم(٢).

وعلىٰ هذا، فقد جَمَعَتِ القراءتان من المعاني والدلالات ما لا يتأتىٰ في قراءة واحدة.

وانظر أيضًا: «جامع البيان»، للطبري (١/ ١٤٨)، و«البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣٣)، و«الدر المصون»، للسمين الحلبي (١/ ٤٧).

(١) «مقاييس اللغة»، لابن فارس، مادة (مَلَك) (٥/ ٣٥١، ٣٥٢).

(٢) انظر: «التفسير الكبير»، للرازي (١/ ١٩٢-١٩٥).

المبحث الثاني:

بلاغة الالتفات

الالتفات: هو التعبير عن معنىٰ بطريق من الطرق الثلاثة- الغَيبة والخطاب والتكلم- بعد التعبير عنه بطريق آخَر منها(١).

وهو من محاسن الكلام، ووَجْه حُسنه أن الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلىٰ أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه علىٰ أسلوب واحد(٢).

ونلاحظ هنا أنه حَصَل في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ انتقال من أسلوب- وهو أسلوب الغَيبة- إلىٰ أسلوب آخَر- وهو أسلوب الخطاب-، وهذا مما يُسمَّىٰ في البلاغة بـ(الالتفات).

قال الزّمخشري: «**فإن قلتَ**: لِـمَ عدل عن لفظ الغَيبة إلىٰ لفظ الخطاب؟

قلتُ: هذا يُسَمَّىٰ الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغَيبة إلىٰ الخطاب، ومن الخطاب إلىٰ الغَيبة، ومن الغَيبة إلىٰ التكلم... وذلك علىٰ عادة افتنانهم في الكلام وتَصرُّفهم فيه. ولأن الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلىٰ أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه علىٰ أسلوب واحد.

وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختَص به هذا الموضع أنه لما ذَكَر الحقيق

---

(١) انظر: «الإيضاح»، للقزويني (ص ٨٤).

(٢) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٦).

بالحمد، وأجرىٰ عليه تلك الصفات العظام، تَعَلَّق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا مَن هذه صفاته، نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه؛ ليكون الخطاب أدل علىٰ أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به»[(١)].

وقال أبو حَيَّان: «وفائدته[(٢)] في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أنه لما ذَكَر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة، والـمُلْكِ، والمِلْكِ لليوم المذكور؛ أقبل الحامد مخبرًا بإثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره- أنه وغيره يعبده ويخضع له. وكذلك أتىٰ بالنون التي تكون له ولغيره، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين، كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره.

ونظير هذا أنك تَذكر شخصًا متصفًا بأوصاف جليلة، مخبرًا عنه إخبار الغائب، ويكون ذلك الشخص حاضرًا معك، فتقول له: (إياك أقصد)، فيكون في هذا الخطاب من التلطف علىٰ بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ (إياه)»[(٣)].

وقال الخطيب القزويني بعدما ذَكَر كلام الزمخشري في محاسن الالتفات: «وقد تختص مواقعه بلطائف، كما في سورة الفاتحة، فإن العبد إذا افتَتح حَمْد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر، ونَفْس ذاكرة لِما هو فيه بقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الدال علىٰ اختصاصه بالحمد، وأنه حقيق به؛ وَجَد من نفسه لا محالة مُحرِّكًا للإقبال عليه.

فإذا انتَقل علىٰ نحو الافتتاح إلىٰ قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الدال علىٰ أنه

---

(١) «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٦، ٥٧).

(٢) أي: الالتفات.

(٣) «البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣٩).

مالك للعالمين، لا يَخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته؛ قَوِيَ ذلك المُحرِّك.

ثم إذا انتَقل إلىٰ قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الدال علىٰ أنه مُنعِم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها؛ تضاعفت قوة ذلك المُحرِّك، ثم إذا انتَقل إلىٰ خاتمة هذه الصفات العظام، وهي قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الدال علىٰ أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء؛ تناهت قوته، وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات»(١).

وللالتفات هنا محاسن أخرىٰ، منها:

١- أنه ذَكَر ذلك توطئة للدعاء في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾(٢).

٢- أنه لما وُصِف بأنه ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عُلِم أنه حاضر في كل مكان وزمان بعلمه بأحوالهم، وليس غائبًا؛ وذلك لأنه رب العالمين جميعًا، فلا يغيب عنهم ولا يغيبون عنه، فلما عُلِم حضوره نودي بنداء الحاضر المخاطب(٣).

٣- أن الطلب بصيغة الحاضر أقوىٰ من الطلب بصيغة الغائب؛ لِما في الحاضر من الإحساس بقرب وحضور المطلوب منه.

٤- أن الكلام من أول السورة إلىٰ قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ثناء، وهو أنسب بصيغة الغائب، والكلام من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إلىٰ نهاية السورة دعاء، وهو أنسب بصيغة الحاضر(٤).

---

(١) «الإيضاح»، للقزويني (ص ٨٦، ٨٧).

(٢) «البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣٩).

(٣) انظر: «لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٤٧).

(٤) انظر: «رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٢٠).

المبحث الثالث:

بلاغة الجَمْع

وأعني بالجَمْع: صيغ الجَمْع وضميره في: ﴿نَعۡبُدُ﴾ و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ و﴿ٱهۡدِنَا﴾ فإنها لافتة للنظر، حيث وضع الجمع موضع المفرد في الظاهر، وإن القارئ وإن كان واحدًا فإنه يخاطب ربه بصيغة الجَمْع.

فإذا تأملنا، وَجَدْنا أن لهذا الاستخدام هنا دلالات وإيحاءات وفوائد، منها ما يلي:

أنه مناسب لقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وذلك أنه لما قال: إنه رب الخلائق جميعًا، ومعبودهم الحقيقي، وخالقهم ورازقهم؛ كان الأنسب أن يكون الخطاب أيضًا بصيغة الجمع.

١- أن المقام مقام عبودية وافتقار إلىٰ الرب، وإقرار بالفاقة إلىٰ عبوديته واستعانته وهدايته، فأتىٰ فيه بصيغة ضمير الجَمْع، أي: نحن- مَعاشر عبيدك- مُقِرون لك بالعبودية، ونستعين بك، ونستهديك.

فقد تَضمَّن ذلك من الثناء علىٰ الرب بسَعة مجده، وكثرة عبيده، وكثرة سائليه الهداية- ما لا يتضمنه لفظ الإفراد. وإذا تأملنا أدعية القرآن، وَجَدْنا عامتها علىٰ هذا النمط.

٢- فيه نفع عظيم وخير كبير للداعي؛ فإنه كلما دعا لأخيه دعا له المَلَك المُوكَّل- بمثله.

٣- أن الدعاء كلما كان أعم، كان إلىٰ الإجابة أقرب.

٤- فيه إشارة إلىٰ أن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

٥- فيه بَثٌّ لرُوح الجماعة، وإشاعة بجمع الكلمة، وتأكيد لمعنىٰ: «يد الله مع الجماعة»(١).

٦- فيه إشارة إلىٰ أنه كلما اجتمعت كلمة المسلمين، وتوحدت صفوفهم؛ كانوا أقرب إلىٰ الهدىٰ والفلاح، وأبعد من الغضب والضلال. وكلما تشتت شملهم، وتمزقت صفوفهم، كانوا أبعد من الهدىٰ والفلاح، وأقرب إلىٰ الغضب والضلال.

٧- فيه دعوة عامة إلىٰ الاجتماع علىٰ الخير، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ؛ وذلك لأن الاجتماع علىٰ الهدىٰ تثبيت وقوة، وأن كثرة السائرين علىٰ الطريق تورث الأُنس وتُهَوِّن مشقة السير. بخلاف الانفراد في السير؛ فإنه يورث الوحشة ويَستجلب الملل.

فإن الإنسان إذا كان معه سالكون لم يستوحش، وكلما كثر السالكون شاع الأمن ورسخت الطُّمأنينة.

أما السالك وحده فإنه قد يستوحش، وقد يضعف وقد يَسقط، وقد تأكله الذئاب، وقد يتعرض لقُطَّاع لطرق.

وهذا الأمر حاصل لمن سلك سُبُل الدنيا، ولمن سلك سبيل المبادئ والقيم سواء بسواء، وهو في الثانية أظهر وأخطر(٢).

---

(١) هذا الحديث أخرجه ابن حِبَّان في «صحيحه» (١٠/ ٤٣٧، ٤٣٨)، برقم: (٤٥٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (١/ ٦٧٧)، برقم: (٣٦٢١).

(٢) انظر: «بدائع التفسير»، لابن القيم (٢/ ٤٥١، ٤٥٢)، و«التفسير الكبير»، للرازي (١/ ٢٠٦)، و«لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٥٧).

المبحث الرابع:

بلاغة الحذف

الحذف من سنن العرب المشهورة في كلامهم، وهو «باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسِّحر» فلا يتأتىٰ لكل أحد، وإنما يَقدر عليه البلغاء، ويَفطن له الفصحاء، وينتبه له مَن خَبَر الأساليب وجَرَّب الأدب والأدباء(١).

وللحذف دلالاته البلاغية وأسراره البيانية «فإنك ترىٰ به تَرْك الذِّكر أفصح من الذِّكر، والصمت عن الإفادة أَزْيَد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ»(٢).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- حَذْف العامل في قوله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

وتقدير باسم الله: (ابتدائي باسم الله)، أو (أبدأ باسم الله)، أو (باسم الله أبدأ) علىٰ خلاف بين نحاة البصرة والكوفة(٣).

ولهذا الحذف- أعني: حذف العامل في (باسم الله)- فوائد:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «لحذف العامل في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فوائد عديدة:

---

(١) انظر: «دلائل الإعجاز»، للجُرجاني (ص ١٤٦).

(٢) «دلائل الإعجاز»، للجُرجاني، (ص ١٤٦).

(٣) انظر: «الدر المصون»، للسمين الحلبي (١/ ٢٢، ٢٣).

منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوىٰ ذكر الله، فلو ذكرت الفعل- وهو لا يستغني عن فاعله- كان ذلك مناقضًا للمقصود، فكان في حذفه مُشاكَلة اللفظ للمعنىٰ؛ ليكون المبدوء به اسم الله.

ومنها: أن الفعل إذا حُذف صح الابتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة، وليس فِعل أَوْلَىٰ بها من فعل، فكان الحذف أعم من الذِّكر؛ فإن أي فعل ذَكَرْتَه كان المحذوف أعم منه.

ومنها: أن الحذف أبلغ؛ لأن المتكلم بهذه الكلمة كأنه يَدَّعِي الاستغناء بالمشاهدة عن النطق بالفعل، فكأنه لا حاجة إلىٰ النطق به؛ لأن المشاهدة والحال دالة علىٰ أن هذا وكل فعل إنما هو باسمه ﷻ، والحَوَالة علىٰ شاهد الحال أبلغ من الحَوَالة علىٰ شاهد النطق» (١).

المطلب الثاني- الحذف في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

نلاحظ في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنه أَطْلَق فعل الاستعانة فلم يُقيِّد بشيء، فلم يَقُل مثلًا: نستعين علىٰ العبادة أو علىٰ الطاعة أو غير ذلك؛ وذلك لأن الإطلاق يفيد شمول الاستعانة كل شيء يحتاج الإنسان فيه إلىٰ الاستعانة.

فهو يستعين بالله علىٰ طلب العلم الصحيح النافع، ويستعين به علىٰ عبادته علىٰ الوجه الصحيح، ويستعين به علىٰ طلب الرزق، ويستعين به علىٰ قضاء الحاجات... إلىٰ غير ذلك. ولو خصها بشيء لبقيت في غيره مجهولة(٢).

---

(١) «بدائع الفوائد»، لابن القيم (١/ ٤٣).

(٢) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٧)، و«رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٢٢، ١٢٣)، و«التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٤، ١٨٥).

قال ابن عاشور: «وقد أفاد هذا الحذف الهام[1] عموم الاستعانة المقصورة على الطلب من الله؛ تأدبًا معه تعالى»[2].

(١) كذا في المطبوع من «التحرير والتنوير» (!)، والوجه: (الحذف المهمّ).

(٢) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٤).

المبحث الخامس:

بلاغة التقديم والتأخير

تُمثِّل اللغة جسدًا يتكون من أعضاء تتمثل في الأسماء والأفعال والحروف، ولكل من هذه الثلاثة مكانه المناسب في إطار الجملة التي تتكون منها، وإذا كانت الجملة تتكون من الإسناد، فإن لكل من المُسنَد والمُسنَد إليه في الجملة الاسمية والفعلية- مكانه الذي ينضبط مع قانون اللغة ونُظمها.

ويقع التقديم والتأخير في أساليب متعددة من الكلام العربي، فيضيف معاني جديدة إلىٰ المعاني الأصلية التي يدل عليها الكلام من حيث الوضع اللُّغوي، وتَنْصَبّ هذه المعاني في العناية التي يُبَيَّن مكانها ومن أين جاءت؟ وكيف جاءت؟ ولماذا جاءت؟

وقد أدرك العلماء منذ القديم أهمية التقديم والتأخير في الكلام، وما يهدف إليه المتكلم من ورائه من الأهداف، وما يَرمي إليه البليغ من الأغراض والمقاصد.

فقد نَصَّ سيبويه علىٰ أن العرب يُقدِّمون الذي بيانه أهم لهم، وما هم ببيانه أعنىٰ، وإن كان الجميع يُهمهم ويَعنيهم [(١)].

وقد أَخَذ الإمام عبد القاهر هذا القول، وحَوَّره ووَسَّع دائرته وأعطاه آفاقًا جديدة لم تُعْهَد قبل[(٢)] وقال مبينًا أهميته ومشيرًا إلىٰ فضله وعِظم شأنه: «هو بابٌ

(١) «الكتاب»، لسِيبَوَيْهِ (١/ ٣٤).

(٢) انظر: «دلائل الإعجاز»، للجُرجاني (ص ١٠٨ وما بعدها).

كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يَزال يَفْتَرّ لك عن بديعة، ويُفضِي بك إلىٰ لطيفة، ولا تَزال ترىٰ شِعرًا يروقك مَسْمَعه، ويَلطُف لديك موقعه، ثم تَنظر فتجد سبب أَنْ راقك ولَطُف عندك- أَنْ قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلىٰ مكان»(١).

◆ **وفي هذا المبحث خمسة مطالب:**

المطلب الأول- تقديم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ علىٰ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾:

لما كان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أبلغ عند الجمهور، فلماذا قُدِّم علىٰ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾؟ مع أن طريقة العرب أنهم يرتقون من الأعم إلىٰ الأخص، ومن القوي إلىٰ الأقوىٰ؟

للإمام الطبري كلام جميل وتوجيه وجيه، ذَكَره في تقديم لفظ الجلالة علىٰ الرحمن، وتقديم الرحمن علىٰ الرحيم، مُفاده: أن من شأن العرب أنهم إذا أرادوا الخبر عن مخبر به أن يُقدِّموا اسمه، ثم يُتبعونه صفاته ونعوته. وهذا هو الواجب في الحُكْم، أن يكون الاسم مُقدَّمًا قبل نعته وصفته؛ ليَعلم السامع الخبر عمن الخبر.

فإذا كان كذلك، قُدِّم لفظ الجلالة لأنه اسم خالص خاص بالله ﷻ، ثم تبعه الرحمن لأنه اسم وصفة، فهو أقل درجة من لفظ الجلالة في الاسمية، فكانت درجته فيها بعد الله، إلا أنه خاص بالله ﷻ، فتَقَدَّم علىٰ الرحيم الذي هو اسم من أسمائه وصفة من صفاته، إلا أنه غير مختص به(٢).

وقريب منه ما استخلصه ابن عاشور قائلًا: «قال الجمهور: إن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أبلغ من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بناء علىٰ أن زيادة المبنىٰ تُؤْذِن بزيادة المعنىٰ... وعلىٰ رعي هذه القاعدة- أعني: زيادة المبنىٰ تُؤْذِن بزيادة المعنىٰ- فقد شاع ورود إشكال علىٰ

(١) «دلائل الإعجاز»، للجُرجاني (ص ١٠٦).

(٢) انظر: «جامع البيان»، للطبري (١/ ١٣٢- ١٣٤).

وجه إرداف وصفه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بوصفه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ مع أن شأن أهل البلاغة إذا أَجْرَوْا وصفين في معنىٰ واحد علىٰ موصوف في مقام الكمال- أن يرتقوا من الأعم إلىٰ الأخص[(١)] ومن القوي إلىٰ الأقوىٰ، كقولهم: شجاع باسل، وجواد فياض، وعالم نِحرير، وخطيب مِصْقَع، وشاعر مُفْلِق.

وقد رأيتُ المفسرين في توجيه الارتقاء من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إلىٰ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أجوبة كثيرة، مرجعها إلىٰ اعتبار ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أخص من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾[(٢)] فتعقيب الأول بالثاني تعميم بعد خاص»[(٣)].

والذي يَظهر- والله تعالىٰ أعلم- أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أعم من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ باعتبار المُتعلَّق به؛ إذ يتعلق ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بالمؤمنين وغيرهم، ويتعلق ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين فقط.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أعم من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ باعتبار الصيغة ودلالتها العامة؛ إذ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أبلغ من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ عند الجمهور، فروعي جانب المُتعلَّق بهم، وهو الذي يقتضيه السياق؛ لكون المضمون مُتعلِّقًا بهم تعلقًا مباشرًا؛ إذ هو في معرض الحمد والثناء، وإظهار العجز والضعف، والسؤال والدعاء الصادر من عباده الصالحين، وبيان ضلالة اليهود والنصارىٰ، وانحرافهم عن الصراط المستقيم.

هذا مع ما ذَكَره الإمام الطبري في توجيه تقديم لفظ الجلالة علىٰ الرحمن، وتقديم الرحمن علىٰ الرحيم؛ أنه من شأن العرب أنهم يُقدِّمون الأسماء علىٰ الصفات في الإخبار؛ ليَعلم السامع الخبر عمن الخبر.

---

(١) **وهذا حاصل باعتبار آخَر**؛ فإن (الرحمن) أعم؛ إذ يتعلق بالمسلمين وغيرهم. و(الرحيم) أخص؛ إذ يتعلق بالمسلمين فقط. وسيتضح أكثر بما يأتي.

(٢) **يعني- والله أعلم-**: أن (الرحمن) أخص من (الرحيم) باعتبار وقوعه علىٰ مسماه؛ ولذا قُدِّم عليه. وسيتضح أكثر من كلام الطبري الآتي.

(٣) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٧١، ١٧٢).

المطلب الثاني- تأخير ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عن ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

صفتا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ من الرحمة، والأُولىٰ تفيد التجدد والحدوث؛ لأنها علىٰ (فَعْلان)، والثانية تدل علىٰ الدوام والثبوت؛ لأنها علىٰ (فَعِيل)[(١)] وكلاهما مقصودان. و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ عامّ، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ خاص بالمسلمين في الدنيا والآخرة[(٢)].

وقد وقعتا بعد قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فكان وقوعهما بعده أحسن موقع، فإذا عَلِم العبد أن هذا الرب الذي لا رب غيره، وهذا الملك الذي لا مَلِك سواه- رحمن ورحيم بعباده، انبسطت نفسه، وانشرح صدره، وقوي أمله برحمته، وتأكد رجاؤه في عفوه وسماحته.

كما أن فيه إشارة إلىٰ أن الرحمة ينبغي أن تكون صفة الرب بكل ما تحتمل من معانٍ، فالمالك ينبغي أن يكون رحيمًا بما يَملك وبمَن يَملك، والمربي ينبغي أن يكون رحيمًا بمن يربيه، والسيد ينبغي أن يكون رحيمًا بمن يَسُوده، والمصلح ينبغي أن يكون رحيمًا بمن يقوم بإصلاحه.

فالرحمة ينبغي أن تكون صفة للرب، واسعة عليه، سابقة إليه، في جميع شئونه، والشدة والقسوة تكون بعيدة عنه كل البعد[(٣)].

قال تعالىٰ وهو يصف رسوله الأمين، المربي الأعظم والمصلح الأكبر: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) انظر: «معاني الأبنية في العربية»، للسامرائي (ص ٧٨-٨٨).

(٢) انظر: «أضواء البيان»، للشنقيطي (١/ ٤٨، ٤٩).

(٣) انظر: «لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٣٤).

المطلب الثالث- تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ هنا يفيد الحَصْر والقَصْر، أي: قَصْر جميع أنواع العبادة وأصناف الاستعانة علىٰ الله ﷻ. فيكون المعنىٰ: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك. أو: نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة. ولو لم يُقدَّم الضمير المنصوب، لما أفاد هذا المعنىٰ(١).

وسيأتي شرحه وبيانه في المبحث التالي، وهو (المبحث السادس: بلاغة القَصْر).

المطلب الرابع- تقديم (العبادة) علىٰ (الاستعانة) في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

أما تقديم العبادة علىٰ الاستعانة فلأمور كثيرة، منها(٢):

١- أن العبادة غاية خلق الإنسان، والاستعانة وسيلة للقيام بها، فقُدِّمَتِ الغاية علىٰ الوسيلة.

٢- أنه قَدَّم ما يستوجب رضا الرب ويستدعي إجابته قبل أن يُطلب منه شيء، فكان القيام بالعبادة مَظِنة استجابة طلب الاستعانة.

٣- أن العبادة حق الله وقسمه، والاستعانة قسم العبد، فقَدَّم حق الله وقسمه علىٰ قسم العبد.

٤- أن قبل هذه الآية ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وبعدها ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

(١) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٦)، و«التفسير الكبير»، للرازي (١/ ١٩٦).

(٢) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٧)، و«بدائع التفسير»، لابن القيم (١/ ٤٤)، و«رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١١٩)، و«التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٦)، و«لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٤٥).

والعبادة أنسب لـ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ لِما فيه من معنىٰ الجزاء. والاستعانة أنسب لـ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لِما فيه من معنىٰ طلب الهداية.

٥- أن العبادة متعلقة بألوهيته واسمه (الله) والاستعانة متعلقة بربوبيته واسمه (الرب)، فقُدِّمَتِ العبادة علىٰ الاستعانة، كما قُدِّم لفظ الجلالة علىٰ الرب في أول السورة.

٦- أن في تأخير الاستعانة توافقًا مع خواتيم الآيات في السورة.

المطلب الخامس- تقديم ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ علىٰ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾:

نلاحظ في قوله تعالىٰ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أنه قَدَّم المغضوب عليهم في الذِّكر علىٰ الضالين، وقد اقتضىٰ السياق ذلك من وجوه، منها:

١- أن المغضوب عليهم هم -كما جاء في الحديث- اليهود، والضالين هم النصارىٰ، واليهود أسبق من النصارىٰ، فناسب ذلك تقدمهم في الذِّكر.

٢- أن المغضوب عليهم أشد جُرمًا وضلالة؛ لأنهم جحدوا بعد علم، بخلاف الضالين فإنهم ضلوا بغير علم. فقُدِّم الأشد والأعظم علىٰ غيره.

٣- أن الإنعام يقابل الغضب ولا يقابل الضلالة، فوضع المقابل بجوار مقابله.

٤- أن وضع الفواصل في الآيات أيضًا اقتضىٰ تأخير الضالين، فجاءت مُناسِبة لها متممة للمعنىٰ[(١)].

(١) انظر: «البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٥٠)، و«بدائع الفوائد»، لابن القيم (٢/ ٤٤١، ٤٤٢)، و«لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٦٨-٧٠).

المبحث السادس:

بلاغة القَصْر

القَصْر: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. أي: جَعْل شيء خاصًّا بشيء وموقوفًا عليه، بحيث لا يتجاوزه إلىٰ غيره.

والمراد بتخصيص الشيء بالشيء: إثباته للشيء ونَفْيه عن غيره. وعلىٰ هذا فجملة القَصْر تفيد الإثبات والنفي في آن واحد. فإذا قلنا: (ما فاز إلا المجتهد) فقد أفادت هذه الجملة معنيين: إثبات الفوز للمجتهد، ونَفْي الفوز عن غير المجتهد[1].

والقَصْر أسلوب جليل، له دوره في تأدية المعنىٰ علىٰ الوجه المطلوب، وجَعْل الكلام موافقًا لمقتضىٰ الحال؛ وذلك لأن المُتكلِّم يريد في أحايين كثيرة أن يُفرغ شعوره العميق بشيء ما، فيَنزع إلىٰ التعبير عنه بشكل مُؤكَّد وقوي، فيكون أسلوب القَصْرِ هو الطريق الموجز لتحقيق هذا الأمر؛ لأنه من أقوىٰ وسائل التأكيد، فتأكيد القَصْر نابع من ذاته.

كما أن حال المُخاطَب يتطلب أحيانًا إقناعه بفكرة ما، وتمكينها وتقريرها في ذهنه؛ لدَفْع ما لديه من إنكار أو شك، فيكون الأنسب أن يكون خطابه بهذا الأسلوب المميز في تأكيده، وفي قدرته علىٰ الإقناع.

ونرىٰ أن القرآن الكريم والسُّنة النبوية اعتمدا كثيرًا علىٰ أسلوب القَصْر، فساقا كثيرًا من الحقائق الدينية والعَقَدية الكبرىٰ من خلال أدوات القَصْر؛ لأنها تحتاج

(١) انظر: «بغية الإيضاح»، للصعيدي (٢/ ٣).

إلىٰ قوة وحسم وإيجاز وتأكيد(١).

والقصر ينقسم إلىٰ عدة أقسام باعتبارات مختلفة، ويتنوع بتنوع الأساليب والطرق المعروفة لها.

وأشهر أقسامه القصر الحقيقي والإضافي(٢)، ومن طرقه المعروفة التقديم المفيد للحصر والقصر والتخصيص.

وقد قَدَّمَتْ سورة الفاتحة نموذجًا رائعًا للقصر الحقيقي؛ للدلالة علىٰ معنىٰ عظيم هو أساس العبودية ومحور التوحيد، والغاية العظمىٰ من خلق الجن والإنس، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. واستَخدمتْ للقَصْر طريق التقديم؛ إذ تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ هنا يفيد الحصر والقصر، أي: قَصْر جميع أنواع العبادة وأصناف الاستعانة علىٰ الله ﷻ.

فيكون المعنىٰ: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك. أو: نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة. ولو لم يُقدَّم الضمير المنصوب، لما أفاد هذا المعنىٰ(٣).

وإذا تأملنا في القصر الموجود في الجزأين، وجدنا أنه في الأول حقيقي تحقيقي؛ لأنه لا تجوز العبادة إلا لله، فهي منصرفة له- جل في علاه- بجميع أنواعها، فلا تجوز إلا له، ولا تقام إلا لذاته. ولكن القصر في الجزء الثاني من الكلام حقيقي

---

(١) انظر: «بغية الإيضاح»، للصعيدي (٢/ ٣، ٤)، و«الإيضاح»، للقزويني، بشرح الخفاجي (٣/ ٥).

(٢) القصر الحقيقي: ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بحيث لا يتعداه إلىٰ غيره أصلا، كقولنا: لا يعلم الغيب إلا الله؛ فإنه لا يعلم الغيب إلا الله وحده.

والقصر الإضافي: ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة إلىٰ شيء معين، كقولنا: ما زيد إلا شاعر، في رد من ظن أنه كاتب، أو كاتب وشاعر.

(٣) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٦)، و«التفسير الكبير»، للرازي (١/ ١٩٦).

ادعائي سيق للمبالغة، وكأن الاستعانة الحقيقية لا تكون إلا بالله، ولا تتحقق إلا بفضله وكرمه؛ وذلك لأن الاستعانة تقع بين العباد بعضهم ببعض، كما تقع بما أرشد إليه في كلام الله ﷻ؛ حيث قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، وقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

إذن القصر المستفاد من التقديم في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ قَصْر حقيقي تحقيقي، يَصرف جميع أنواع العبادة إلىٰ الله جل في علاه.

والقصر المستفاد من التقديم في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قَصْر ادعائي للمبالغة، ومعنىٰ القَصْر هنا: لا نستعين علىٰ عظائم الأمور التي لا يستعان فيها بالناس إلا بالله تعالىٰ(١).

فالتقديم الأول يفيد القصر الحقيقي التحقيقي، والتقديم الثاني يفيد القصر الحقيقي الادعائي.

وهذا الفرق اللطيف بين القصرين هو أحد أسرار تكرار ﴿إِيَّاكَ﴾ في هذا المقام، وعدم الاستغناء عنه بعطف ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ علىٰ ﴿نَعۡبُدُ﴾، فلما كان بين القصرين فرق، أعاد ضمير ﴿إِيَّاكَ﴾ مع الجميع، ولم يَستغنِ عن التَّكرار بالعطف(٢).

وسيأتي شرحه وبيانه في المبحث التالي، وهو (المبحث السابع: بلاغة التَّكرار).

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٥).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٦).

المبحث السابع:

بلاغة التَّكرار

التَّكرار من الأساليب البليغة التيلا يتفطن لها إلا حُذَّاق العربية، ولا تتيسر إلا لقلة من رجال البلاغة، وهو من الإطناب. وإذا حَلَّ التَّكرار في محله زاد الكلام قوة، وإذا وُضع في موضعه أَثَّر في نفس المتلقي أيما تأثير.

قال الزمخشري: «ولأن في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور، ألا ترىٰ أنه لا طريق إلىٰ تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها؟ وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفَهْم، وأثبت للذِّكر، وأبعد من النسيان»(١).

ومن التَّكرار البليغ في سورة الفاتحة تَكرار ﴿إِيَّاكَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد كَرَّر الله ﷻ ضمير ﴿إِيَّاكَ﴾ مع الفعلين.

ولهذا التكرير فوائد كما أشار إليه الآلوسي(٢):

١- التنصيص علىٰ طلب العون منه تعالىٰ، فإنه لو قال سبحانه: (إياك نعبد ونستعين) لاحتمل أن يكون إخبارًا بطلب المعونة من غير أن يُعيِّن ممن يُطلَب.

٢- أنه لو اقتَصر علىٰ واحد، ربما توهم أنه لا يتقرب إلىٰ الله تعالىٰ إلا بالجمع بينهما، والواقع خلافه.

---

(١) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (٣/ ٣٣٤).

(٢) انظر: «رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٢٢).

٣- أنه جَمَع بينهما للتأكيد، كما يقال: (الدار بين زيد وبين عمرو) وفيه نظر؛ لأن التكرير إنما يكون تأكيدًا إذا لم يكن معمولًا لفعل ثانٍ، و﴿إِيَّاكَ﴾ الثاني في الآية معمول لـ﴿نَسْتَعِينُ﴾ مفعول له، فكيف يكون تأكيدًا؟

٤- أنه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالىٰ عند كل حاجة.

وذهب الآلوسي إلىٰ أن «التَّكرار للإشعار بأن حيثية تعلق العبادة به تعالىٰ- غير حيثية تعلق طلب الاستعانة منه سبحانه، ولو قال: (إياك نعبد ونستعين) لتوهم أن الحيثية واحدة، والشأن ليس كذلك؛ إذ لا بد في طلب الإعانة من توسط صفة، ولا كذلك في العبادة؛ فلاختلاف التعلق أعاد المفعول ليشير بها إليه»(١).

وقال ابن القيم: «ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه، فإذا قلت لمَلِك مثلًا: (إياك أُحِب، وإياك أخاف) كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره- ما ليس في قولك: (إياك أُحِب وأخاف)»(٢).

وأما ابن عاشور فقد أشار إلىٰ نكتة بلاغية لطيفة، حيث قال: «وأعيد لفظ ﴿إِيَّاكَ﴾ في الاستعانة دون أن يُعطَف فعل ﴿نَسْتَعِينُ﴾ علىٰ ﴿نَعْبُدُ﴾ مع أنهما مقصودان جميعًا، كما أنبأ عنه عطف الجملة علىٰ الجملة؛ لأن بين الحصرين فرقًا: فالحصر في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقيقي، والقصر في ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ادعائي؛ فإن المسلم قد يستعين بغير الله تعالىٰ، كيف وقد قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ولكنه لا يستعين في عظائم الأمور إلا بالله، ولا يُعِدّ الاستعانة حقيقة إلا الاستعانة بالله تعالىٰ»(٣).

---

(١) «رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٢٢).

(٢) «الضوء المنير»، لابن القيم (١/ ٨٦).

(٣) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٦).

المبحث الثامن:

بلاغة الاستعارة

إن الاستعارة من أدق أساليب البيان تعبيرًا، وأَرقِّها تأثيرًا، وأجملها تصويرًا، وأكملها تأدية للمعنىٰ، فهي فَنٌّ دقيق من فنون البيان، ولَوْن عجيب من ألوانه، ومنظر خلاب من مناظره، وصورة رائعة من صوره، لها مكانة رفيعة في الأساليب البليغة، ودَوْر مهم في إيضاح المعاني وتقريرها، وما بالغنا إذا قلنا: إن الاستعارة رُوح علم البيان، وقَلْب البلاغة العربية.

وقد عَدَّها الإمام عبد القاهر من الأصول التي عليها مدار حُسن الكلام، فقال في بداية حديثه عن التشبيه والتمثيل والاستعارة: «فإن هذه أصول كبيرة، كأن جُلَّ محاسن الكلام-إن لم نَقُل: كُلَّها- متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في مُتصرَّفاتها، وأقطار تُحيط بها من جهاتها»(١).

والاستعارة إذا وقعت في محلها، وجاءت مُطابِقة لمقتضىٰ الحال- حَقَّقَتْ في الأسلوب جُل مُقوِّمات البلاغة وعناصر الحُسن والجمال، ومن أهمها: الإيجاز، والمبالغة، والإيضاح والبيان، والتأكيد والتقرير(٢).

وقد حوت سورة الفاتحة نموذجًا رائعًا من الاستعارة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

---

(١) انظر: «أسرار البلاغة»، للجُرجاني (ص٢٧).

(٢) انظر: «كتاب الصناعتين»، للعسكري، (ص٢٦٨)، و«سر الفصاحة»، للخفاجي (ص١٠٨، ١٠٩)، و«أسرار البلاغة»، للجُرجاني (ص٤٢، ٤٣).

ففي قوله ﷻ: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ استعارة؛ حيث شُبِّه الإيمان أو دين الحق أو ملة الإسلام- بالصراط المستقيم، تشبيهًا لوسيلة المقصود بوسيلة المَقصِد(١) فحَذَف المُشبَّه، وصَرَّح بالمُشبَّه به علىٰ سبيل الاستعارة التصريحية.

وقد استعير الصراط المستقيم هنا للإيمان أو دين الحق أو ملة الإسلام؛ لأن الجميع يوصل إلىٰ المطلوب، وزاد الاستعارةَ حسنًا وانسجامًا استخدام كلمة الهداية؛ لأن أَصْلها تبيين الطريق للسائر، واشتُهر استعمالهم في مطلق الإرشاد مجازًا واستعارة(٢).

ومِن حُسْن الانسجام ودقة الدلالة أيضًا: اختيار كلمة ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ للاستعارة دون كلمة (الطريق) أو كلمة (السبيل) وذلك لأن (صِرَاط) علىٰ وزن (فِعَال) وهو من الأوزان الدالة علىٰ الاشتمال، فيشتمل علىٰ كل السالكين ولا يضيق بهم؛ لرُحْبه وسَعته(٣).

والاستعارة هنا تضع الحق والإيمان وملة الإسلام في صورة محسوسة؛ حيث تُوضِّحها وتجليها أمام الأنظار، وتُشخِّص المعنىٰ وتُجسِّده في مَشاهد محسوسة، وكأنه قد جُسِّم حتىٰ رأته العيون(٤).

(١) انظر: «رُوح البيان»، لإسماعيل حقي (١/ ٢٠، ٢١)، و«التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٦/ ١٥١)، و«علوم البلاغة»، للمَرَاغي (ص٢٧٣)، و«جواهر البلاغة»، للهاشمي (ص٢٦٧).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٤/ ٢٧)، و«جواهر البلاغة»، للهاشمي (ص٢٦٧).

(٣) انظر: «بدائع الفوائد»، لابن القيم (٢/ ٤١٦، ٤١٧)، و«معاني الأبنية في العربية»، للسامرائي (ص ٦٢).

(٤) انظر: «أسرار البلاغة»، للجُرجاني (ص ٤٣)، و«أفنان البيان»، للشحات (ص٢٠١، ٢٠٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبعد، فهذه دراسة تحليلية للجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، وقد توصلتُ- ولله الحمد- من خلال الدراسة والبحث في الموضوع، والنظر في المصادر والمراجع المتعلقة به- إلىٰ نتائج، من أهمها:

١- تَشُد السَّبْع المثاني الانتباه إلىٰ الجوانب البلاغية، والألوان البيانية الكثيرة، التي اشتملت عليها مع قِصرها.

٢- تشتمل سورة الفاتحة علىٰ جوانب بلاغية عديدة، تؤدي دورها في تأدية المعنىٰ المقصود وتوضيح المراد.

٣- من الجوانب البلاغية التي اشتملت عليها سورة الفاتحة: بلاغة القراءات، والالتفات، والجَمْع، والحذف، والتقديم والتأخير، والتَّكرار، والاستعارة.

أشكر الله مرة أخرىٰ علىٰ ما وفقني لإنجاز هذا العمل المبارك المتعلق بكتابه العزيز، داعيًا أن ينفعنا به، ويوفقنا دائمًا لِما فيه خير الدنيا والآخرة.

وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- «الإتقان في علوم القرآن»، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت: سعيد المندوب، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار الفكر، (١٤١٦هـ).

٢- «أسرار البلاغة»، الجرجاني، الإمام عبد القاهر، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط/ ١، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، (١٤١٢هـ).

٣- «إعراب القرآن»، النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، ت: عبد المنعم خليل، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار الكتب العلمية، (١٤٢١هـ).

٤- «إعراب القراءات الشواذ»، العُكْبَري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، ت: محمد السيد عَزُّوز، ط/ ١، بيروت، لُبنان، عالم الكتب، (١٤١٧هـ).

٥- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، الشنقيطي، العَلَّامة محمد الأمين، ط/ ١، مكة المكرمة، السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (١٤٢٦هـ).

٦- «أفنان البيان»، الشحات، محمد أبو ستيت، د. ط. طنطا، مصر، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست، (١٤١٧هـ).

٧- «الإيضاح»، القزويني، محمد بن عبد الرحمن الخطيب، ت: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ط/ ١، الرياض، السعودية، مطبعة المعارف للنشر والتوزيع، (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م).

٨- «البحر المحيط»، الأندلسي، أبو حَيَّان أثير الدين محمد بن يوسف، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).

٩- «بدائع التفسير الجامع لِما فسره الإمام ابن قيم الجوزية»، جَمَعه: يسري السيد محمد، ط/ ١، الدمام، السعودية، دار ابن الجوزي، (١٤٢٧هـ).

١٠- «بدائع الفوائد»، الجوزية، الإمام ابن القيم، ت: علي بن محمد العمران، ط/ ٢، مكة

المكرمة، السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (١٤٢٧هـ).

١١- «البرهان في تناسب سور القرآن»، الثقفي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ت: الدكتور سعيد جمعة الفلاح، ط/ ١، الدمام، السعودية، دار ابن الجوزي، (١٤٢٨هـ).

١٢- «بغية الإيضاح»، الصعيدي، عبد المتعال، ط/ ١، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

١٣- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد الطاهر، د. ط. تونس، دار سَحنون للنشر والتوزيع، د. ت.

١٤- «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد»، ابن مالك، محمد بن عبد الله، ت: محمد كامل بركات، د. ط. القاهرة، مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م).

١٥- «تفسير القرآن العظيم»، ابن كَثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدِّمشقي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/ ٢، بيروت، لُبنان، دار الكتاب العربي، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).

١٦- «التفسير الكبير = مفاتيح الغيب»، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ط/ ٢، بيروت، لُبنان، دار الكتب العلمية، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م).

١٧- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن =تفسير الطبري»، الطبري، محمد بن جرير، ت: محمود محمد شاكر، ط/ ٢، القاهرة، مصر، دار المعارف، د. ت.

١٨- «الجامع الصحيح»، البخاري، محمد بن إسماعيل، ت: الدكتور مصطفىٰ ديب، ط/ ٣، بيروت، لُبنان، دار ابن كثير، اليمامة، (١٤٠٣هـ).

١٩- «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي»، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت: عبد الله عبد المحسن التركي، ط/ ١، بيروت، لُبنان، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

٢٠- «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع»، الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، د. ط. بيروت، لُبنان، دار المعرفة، د. ت.

٢١- «حاشية الجُرجاني علىٰ الكَشَّاف للزمخشري»، بهامش «كتاب الكشاف»، د. ط. بيروت، لُبنان، دار المعرفة، د. ت.

٢٢- «الحجة في القراءات السبع»، ابن خَالَوَيْهِ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، ت: عبد العال سالم مكرم، ط/ ١، بيروت، لُبنان، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٢٣- «الحجة للقراء السبعة»، الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد، ت: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، ط/ ٢، دمشق، سوريا، دار المأمون للتراث، (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

٢٤- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون»، الحلبي، أحمد بن يوسف السمين، ت: الدكتور أحمد محمد الخراط، طُبع في عدة سنوات، دمشق، سوريا، دار القلم، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

٢٥- «الدر المنثور»، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت: الدكتور عبد المحسن التركي، ط/ ١، القاهرة، مصر، مركز هَجَر، (١٤٢٤هـ).

٢٦- «دلائل الإعجاز»، الجُرجاني، الإمام عبد القاهر، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط/ ٣، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، (١٤١٣هـ).

٢٧- «رُوح البيان»، الحنفي، إسماعيل حقي، د. ط. بيروت، لُبنان، دار الفكر، د. ت.

٢٨- «رُوح المعاني»، الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، ت: محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السَّلامي، ط/ ١، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

٢٩- «زاد المعاد في هدي خير العباد»، الجوزية، الإمام ابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط/ ٤، بيروت، لُبنان، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٥هـ- ٠٥٢٠م).

٣٠- «السبعة في القراءات»، ابن مجاهد، أحمد بن موسىٰ، ت: الدكتور شوقي ضيف، ط/ ٢، مصر، دار المعارف، د. ت.

٣١- «سر الفصاحة»، الخفاجي، ابن سنان، شرح: عبد المتعال الصعيدي، د. ط. القاهرة، مصر، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (١٣٨٩هـ).

٣٢- «صحيح ابن حِبَّان بترتيب ابن بَلبان»، ت: الأرناؤوط، شعيب، ط/ ٢، بيروت، لُبنان، مؤسسة الرسالة، (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

٣٣- «صحيح الجامع الصغير وزياداته»، الألباني، محمد ناصر الدين، د. ط. الرياض، المملكة العربية السعودية، المكتب الإسلامي، د. ت.

٣٤- «الضوء المنير علىٰ التفسير»، (مباحث تفسيرية من كتب الإمام ابن القيم)، جَمَعه: علي الحمد الصالحي، د. ط. دخنة، القصيم، السعودية، مؤسسة النور للطباعة والنشر، بالتعاون مع مكتبة السلام، الرياض، السعودية، د. ت.

٣٥- «علوم البلاغة»، المَرَاغي، أحمد مصطفىٰ، د. ط. بيروت، لُبنان، دار الكتب العلمية، د.ت.

٣٦- «القراءات الشاذة، وتوجيهها من لغة العرب»، القاضي، عبد الفتاح، د. ط. بيروت، لُبنان، دار الكتاب العربي، (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

٣٧- «كتاب سِيبَوَيْهِ»، سِيبَوَيْهِ، عمرو بن عثمان، ت: عبد السلام محمد هارون، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار الجيل، د. ت.

٣٨- «كتاب الصناعتين»، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط. بيروت، لُبنان، المكتبة العصرية، صيدا، (١٤١٩هـ).

٣٩- «الكَشَّاف»، الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/ ٢، بيروت، لُبنان، دار إحياء التراث العربي، (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

٤٠- «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل»، السامرائي، الدكتور فاضل صالح، ط/ ٤، عَمَّان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

٤١- «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها»، ابن جني، أبو الفتح عثمان، ت: علي النجدي الناصف وزملائه، ط/ ٢، إستانبول، تركيا، دار سزكين للطباعة والنشر، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٤٢- «معاني الأبنية في العربية»، السامرائي، الدكتور فاضل صالح، ط/ ٢، عَمَّان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٤٣- «معاني القرآن»، الفَرَّاء، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد، ت: محمد علي النجار وزملائه، ط/ ١، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

٤٤- «معاني القرآن وإعرابه»، الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، ت: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، د. ط. القاهرة، مصر، دار الحديث، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م).

٤٥- «معاني القراءات»، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، ت: الدكتور عيد مصطفىٰ، والدكتور عوض بن حمد القوزي، ط/ ٢، القاهرة، مصر، دار المعارف، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

٤٦- «مقاييس اللغة»، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، ت: عبد السلام محمد هارون، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار الجيل، (١٤١١هـ-١٩٩١م).

٤٧- «نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر»، البِقَاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، ط/ ٣، القاهرة، مصر، مكتبة ابن تيمية، (١٤٢٧هـ).

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

مُلخَّص البحث ١٦١

المُقدِّمة..... ١٦٥

المبحث الأول: بلاغة القراءات..... ١٧٤

المبحث الثاني: بلاغة الالتفات..... ١٧٩

المبحث الثالث: بلاغة الجَمْع ١٨٢

المبحث الرابع: بلاغة الحذف ١٨٤

المبحث الخامس: بلاغة التقديم والتأخير..... ١٨٧

المبحث السادس: بلاغة القَصْر..... ١٩٣

المبحث السابع: بلاغة التَّكرار..... ١٩٦

المبحث الثامن: بلاغة الاستعارة..... ١٩٨

الخـــاتمـــة..... ٢٠٠

فهرس المصادر والمراجع..... ٢٠١

فهرس الموضوعات ٢٠٧

مجلة تدبر

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (10) Year 5 / Rajab 1442 AH, corresponding to February 2021

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Contemplating the Noble Quran and its Impacts**
  Mohammed El amine Amir
- **Manifestations of the Blessing of Prepared Paths in the Light of the Surah Al Nahl**
  Mahmoud bin Abdel-Jaleel Rozan
- **The Rhetorical Aspects in the Surah Al Fatiha (An Analytical Study)**
  Dr. Mohammad Waseem Khan
- **The Quranic Verses Referring to the Affliction with Distress and Ailment in the Surah Al An'âm: (42-45) Commentary and Spiritual Conclusions**
  Dr. Musad bin Massad Al-Hussein
- **References to the Proprieties and Guidelines Contained in Muqaddimah Ash-Shaatibiyyah**
  Dr. Taariq bin Sa'eed Abu Rub'ah As-Sihli AL-Harbi
- **A report on a scientific thesis entitled "Contemplating the Noble Qur'an from the viewpoint of Imam Ibn Al-Qayyim, may Allah have mercy on him: A Fundamental Study",**
  Researcher Abdul-aziz bin Hussein Al-Wathlan
- **A report on Tadabbur Magazine for five years (from 1438 to 1442/2016-2021)**
- **A report on the First Tafseer (i.e. Quran Exegesis) Forum, held in the State of Kuwait entitled "Mathani", organized by the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs**

1658-7642

25 SR